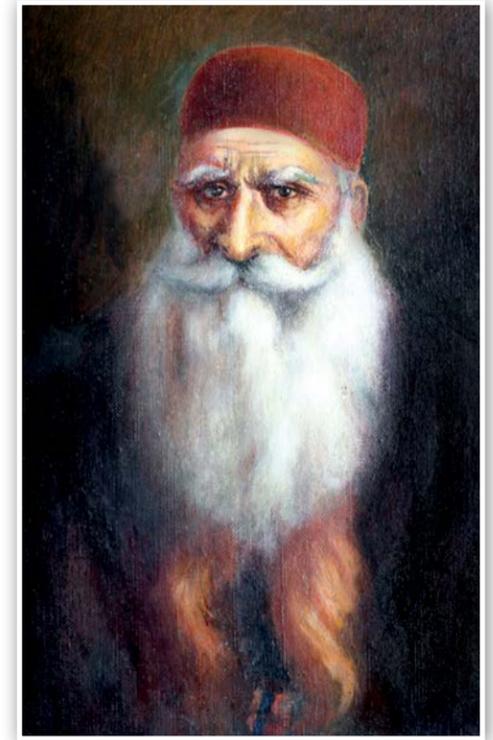


بقلم العميد الركن المتقاعد ادونيس نعمة

عاميتا انطلياس: حقائق تاريخية

نشر الاب انطوان ضو الانطوني مقالا تاريخيا عن الحركات الشعبية التحررية التي شهدتها الجبل اللبناني في النصف الاول من القرن التاسع عشر، زمن ولاية الامير بشير الثاني، وذلك لمناسبة المهرجان الخطابي الذي اقامته بلدية انطلياس ونادي الشراع تذكارا لاول ميثاق وطني عقد في انطلياس في 7 حزيران 1840.

تعليقا على هذا المقال ننوه بأن مثل هذه الانتفاضات التحررية لم تكن لتقف عند هذا الحد بعد مزبلة الامير بشير للجبل اللبناني واقامته اولا في مالطة ثم في الاستانة، فان اللبنانيين ما كانوا يوما ليناموا على ضيم،



الامير بشير الشهابي الثاني الكبير.

بل كانوا في الاوقات العصيبة، عندما تشدد عليهم وطأة الحكام والاقطاعيين، يتناسون احقادهم وخصوماتهم، فيلمون شعثهم ويعقدون الخناصر لرفع الاذى عنهم واستنشاق نسيم الحرية والاستقلال. هكذا فعلوا لما اضطروا المتصرف يوسف باشا سنة 1908 الى اعلان الدستور العثماني في البلاد وتنظيم الادارة واقالة بعض كبار الموظفين الذين عاثوا فسادا في الدوائر. وهكذا فعلوا ايضا يوم اختل ميزان الحكم في لبنان زمن ولاية الشيخ بشارة الخوري، اول رئيس استقلالي للبنان، وعقدوا اجتماعهم الكبير في دير القمر سنة 1952 الذي كان من ذيوله استقالة الرئيس بعد مدة من تجديد ولايته كما هو معروف.

نود هنا ان نشير الى بعض النتائج التي نجمت عن عامية انطلياس الاولى سنة 1820 والتي لم يتوسع الاب انطوان ضو في تفصيلها على الرغم مما لها من اصول واضحة في التواريخ اللبنانية وبعض منشورات الادباء مثل لحد خاطر والخوري بولس عبود وغيرهما. يتضح من هذه المرويات ان بشيرا لم يكن ليتغاضى عن مثيري الفتنة ضده، فاذا لم تسعفه الظروف بقمع حركاتهم ومعاقبتهم فورا فانه كان يترقب المناسبات للاقتصاص منهم دون رحمة.

وقد ملح الاب ضو الى ان بشيرا دس السم في فنجان قهوة قدمه الى المطران يوسف اسطفان لمعاذته ثوار انطلياس، فمات بعد ايام متأثرا بهذا الشراب. وقد رأينا اتماها للفائدة ان نذكر كيف تمت هذه المأساة. كان في دار كنيسة سيدة التلة في دير القمر، الى الجانب الشرقي الشمالي من المدخل الرئيسي، قبر قديم كنا نراه في حديثنا ولا نعلم عنه شيئا لفقدان النقوش والكتابات

عن حجارتها. كان شكله الهندسي مستطيلا، وهو من الحجر الوردي اللون المعروف بـ"ابو زنار". مستخرج من مقال دير القمر. طول طبقتة الارضية متر وتسعون سنتيمترا وعرضها تسعون سنتيمترا وعلوها خمسون سنتيمترا تقريبا، وفوقها طبقة اصغر منها، ثم كتلة من الحجر نفسه مثلثة الزوايا ولا شيء اخر على القبر. كان القدماء يقولون لنا انه ضريح غالب آغا شاوول نعمة خازندار قصر بتدين ونديم الامير بشير. في سنة 1949 ازيل هذا القبر بأمر من المطران اوغسطين البستاني لمناسبة نبش قبور الشهداء القديمة ووضع ما فيه من العظام مع بقايا الشهداء التي نبشت ووضعت في مكان جديد تحت النصب الذي اقيم لهذه الغاية.

فما قصة هذا القبر؟ يتضح من مطالعة التاريخ ان عبدالله باشا والي عكا طلب من الامير بشير مبلغا من المال كبيرا عجزت خزينته عن تسديده، فجاها الى التجار اولا يقترض منهم، ثم الى الرعية يستوفي منها المال الاميري مضاعفا قبل ان يدفع، واستنجدوا باهالي كسروان الذين كان يضيفهم اي ارهاق، فتراكضوا الى المطران يوسف اسطفان، المعروف بحسن علاقته مع الامير، يسألونه التوسط لديه للاشفاق عليهم والا فهم مضطرون الى رفع راية العصيان على الحكومة.

جاء المطران الى بتدين يبين الحالة للامير، ملمحا الى ما في مطالبه من مخالفة لواجب الرحمة والانصاف، والى ما في صفوف الشعب من استعداد للانتفاض، مستعملا لذلك عبارات لم يرتج اليها الامير، ما اضطرت المطران الى العودة فاشلا مستاء. واذ عرف الشعب بالنتيجة السلبية، ثاروا

الذي كتب لهم صك تعاهدتهم على العصيان. فتعاظم حق الامير عليه، وتناسى ما اداه له في السابق من خدمات وما بينه وبين أسرته من علاقات، واصدر امرا بالقبض عليه، مما اضطرت المطران الى الفرار متكررا في زي عامل فقير ولبث في فراره زهاء سنتين في اسوأ حالة من الضنك والقلق.

تحذير الامير لمعارضيه بمعاقبتهم.

وعلى الامير في عامية انطلياس ثم عامية لحفد، فنهض الامير اليهم بالعساكر ممزقا شملهم بالقوة واخذ يقتص من محرضيهم. وشي بعضهم اليه بأن المطران يوسف اسطفان كان من جملة المحرضين، وانه هو

الذي كتب لهم صك تعاهدتهم على العصيان. فتعاظم حق الامير عليه، وتناسى ما اداه له في السابق من خدمات وما بينه وبين أسرته من علاقات، واصدر امرا بالقبض عليه، مما اضطرت المطران الى الفرار متكررا في زي عامل فقير ولبث في فراره زهاء سنتين في اسوأ حالة من الضنك والقلق.

ويعد بالعودة الى سابق اخلاصه. طار الشيخ حبيب الى حيث كان المطران متخفيا في اخر حدود لبنان الشمالية وجاء به، وبالشيخ زعيتر الخازن المتواري معه لاتهامه بموالة الثوار، فقابلا الامير ولقيا



كاتدرائية سيدة التلة في دير القمر.

لديه الترحاب. لكن هذا الترحاب كان مصطنعا لأن الامير، بعدما مني بانتفاضات عدة من اهله واصحابه، عول على ان يزيل من طريقه كل من يهدد منصبه مهما كان مقامه. غير آبه بمختلف الصلات والروابط. هكذا اشار الى الخادم المختص، فدس لهما السم في القهوة، ومات الشيخ زعيتر فورا في دير القمر ودُفن هناك، اما المطران فقد تحامل على نفسه الى كسروان، وما لبث ان توفي بعد ايام في 4 تشرين الثاني 1822 في دير مار روحانا البقيعة قرب عرمون.

هذا المطران رُقي الى درجة الاسقفية في 18 شباط 1810، وجرت سياسته مطرانا فخريا على قورش باسم "يوسف" تيمنا باسم عمه البطريرك الكبير يوسف اسطفان المتوفى سنة 1793، وظل مدة رئاسته مدرسة عين ورقة يسمع دعاوى ويصدر الاحكام بكل استقامة، وقد ازدهرت المدرسة في عهده وتخرجت فيها جمهرة من كبار العلماء.

ونظرا الى ما لال الخازن من مقام عند الموارنة ولاسيما اهالي دير القمر، فقد سمح الدير يون بدفن الشيخ زعيتر في مدفن اقاموه له في دار كنيسة سيدة التلة، وهو الذي كنا نراه في حديثنا كما تقدم القول. وقد نظم شاعر الامير نقولا الترك، الذي كان يجهل انذاك مع اهالي الدير سر مأساة الشيخ، هذه الابيات في تاريخ وفاته:

كَمْ ذَا نَرَى لَكَ يَا ابْنَ رَاشِدٍ وَحَشَّةً
بَلْ كَمْ عَلَيْكَ صَمِيمٌ قَلْبِي يَلْتَهَبُ
وَاحْسِرَتَاهُ عَلَيَّ فِرَاقِكَ طَالَمَا
يَنْهَلُ هَطَالِ السَّحَابِ وَيَنْسَكِبُ
وَارُوا جَمَالَكَ عَنِ عِيُونِي فِي الثَّرَى
لَكِنَّهُ عَنِ عَيْنِ قَلْبِي لَمْ يَغِبْ
مَوْلَاكَ يَا ابْنَ الْخَازِنِ التَّقْوَى لَقَدْ
نَادَاكَ لِلْفِرْدَوْسِ، بِأَدْرٍ وَأَقْتَرِبُ
وَلِسَانُ حَالِ ضَرِيحِكَ الزَّاكِي الشُّدَا
يَنْعَى عَلَيَّ طَوْلَ الزَّمَانِ وَيَنْتَدِبُ

ويقول في تاريخه:

العِب تَضِيك لِك الدنْيَا!

صفحات من لبنان



La Libanaise des Jeux



لوحة عن عامية مناوي الأمير.

اتصل خبر هذه النشرة بالامير بشير، فكتب يحذر الناس منها، وهذا مثال عن كتاب التحذير الذي ارسله الامير الى اهالي بسكنتا: "بعد الشوق بلغنا ان جهال دير القمر قد ارسلوا لكم مكاتيب لاجل يغشونكم كما غشوا ذواتهم لكي يرموكم تحت اغبار الخاطر، وانكم ما قبلتم ذلك ولا جاوبتوهم، ولكن رافة بكم وخشية لئلا يغشونكم بكثر المراسلات اقتضى اصدار هذا الامر اليكم: نحذركم ونصحكم من الوقوع بهذا الغلط الذي يوجب خراب الديار، وقلع الاثار، واذا كان عندكم مراسيل من "الدير" حالا اطردوهم او ارموا عليهم القبض وارسلوهم الى طرفنا يكون معلومكم". (عن مجموعة جامعة بيروت الاميركية).

غير ان الثوار لم يعبأوا بهذا الانذار، بل اصدروا نشرات اخرى تحض المواطنين على الثورة التي اتسع نطاقها وحمي وطيسها، فكان ما كان من امرها واندحار جيش ابراهيم باشا بتدخل بعض الدول وعودته الى بلاده، ونفي الامير بشير كما هو مبين في التواريخ.

وردت هذه العبارة في نهايته: "ان اهالي دير القمر هم في مقدمة من تسلم للدفاع عن دعوانا المقدسة والعدالة، فليسمع نداؤهم الوطني في كل الانحاء".

فما كان موقف الديرين من تلك الثورة؟ كانت الثورة قد عمّت البلاد، فدارت من جانب المسيحيين والدروز، وعقد زعماءهم اجتماعا في دير القمر قبل اجتماع انطلياس تعاهدوا فيه على مقاومة ابراهيم باشا وجيشه بكل قواهم، وانشئت صناديق لمشتري السلاح والذخائر. في 27 ايار 1840 انتخب اهالي دير القمر اربعة عشر وجيها منهم، وهم من الدرّوز احمد الشحاري وخزوع خبيص، ومن الموارنة نادر عكر (نعمة) وابراهيم عيد (البستاني) وفارس ثابت وسعد باز ويوسف شمعون وغندور الكك وبشارة الجلخ ومنصور مرهج، ومن الروم الكاثوليك سلوم الحداد وحنا عيسى وداود الجاويش وحبيب الصوصة، فاجتمعوا مع موفدي المقاطعات في خلوة الدرّوز في دير القمر "وتحالفوا ان كل شيء يدبرونه يحفظونه سرا حتى وقت العمل (انظر الرسم) واذاعوا بذلك نشرة على اللبنانيين".

◀ "يا عائدي ارقِ الدُموع على زُعيتِ وانتحِبْ
(ديوان المعلم نقولا الترك" سنة 1822،
صفحة 133)

غالب آغا شاوول نعمة سعى لدى الامير بشير في الترخيص لاهالي دير القمر بتوسيع كنيسة سيده التلة، وكان مقربا من سيد البلاد وخازن دار القصر، ولما مات سنة 1833 دُفن في دار الكنيسة الى جانب مثنوى الشيخ زعيتر الخازن وارخ وفاته اليازجي بقوله ("العقد"، صفحة 121):

زُرُّ باكرا قِبْرَ ابنِ شاوول الذي
عَمَّتْهُ من لطفِ الاله سَحائبُ
في تُرْبَةِ كَنَبِ المُوْرُخِ فوقها:
"انَّ النَزِيلَ بدارِ رَبِّكَ غالبُ"

وقيل ان هذا المدفن انشئ لغالب شاوول فقط.

في البيان الذي اذاعه الثوار عقب عامية انطلياس الثانية في 8 حزيران 1840 ونشره الاب انطوان ضومع مقالته المتقدم الذكر



ابراهيم باشا قائد الحملة العسكرية على جبل لبنان وبلاد الشام وحليف بشير الشهابي.



www.ildj.com